كي تكون فلسطين قضية عربية أولى

احمد شاهين

تمكنت القوى السياسية الفلسطينية، التي قادت نضال الشعب الفلسطيني خلال العشرين سنة الماضية (١٩٦٤ ـ ١٩٨٤) من بعث الحياة بشعار «حق العودة وتقرير المصير». وشكلت منظمة التحرير الفلسطينية العنوان السياسي لنضالات هذه المرحلة، وبشكل خاص بعد ان «انتزعت» الاعتراف بها، عربيا، باعتبارها الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني، وكذلك، خصوصا، بعد الاقرار، دوليا، بصفتها هذه وبحقها في الاشتراك في كافة المداولات الدولية حول القضية الفلسطينية، اضافة الى منحها صفة العضو المراقب في هيئة الامم المتحدة.

وقد قطع هذا الانجاز السياسي للشعب الفلسطينية مسيرة الجلجلة بين «الدعوة لاحياء الشخصية الوطنية الفلسطينية» باعتبارها صاحبة الحق والمسؤولة عن إدارة معركتها مع عدوها اسرائيل، اي المسؤولة الاولى عن القضية الفلسطينية، وبين الدعوة لاستمرار معالجة هذه القضية «كجزء من الاطار القومي العروبي» مع منحها مركز الاولوية حيث اطلق عليها هذا اللقب: قضية العرب الاولى. وقد حارب الفلسطينيون خلال مسيرتهم هذه على ثلاث جبهات: فشكل الصراع مع العدو الاسرائيلي جبهتهم الاولى، وبالنضال على هذه الجبهة انتزعوا الاعتراف بوجودهم كشعب وكقضية؛ كما شكل الصراع مع الانظمة العربية جبهتهم الثانية لانتزاع حق حرية الحركة والتنظيم والنشاط عبر حدود الدول العربية ضد اسرائيل؛ واخيرا، شكل الصراع الداخلي بين الفلسطينيين انفسهم الجبهة الثالثة، وذلك فيما بين الاطر السياسية الفلسطينية التي اختلفت حول طبيعة الثورة الفلسطينية (ايديولوجيا) وحول مشاريعها السياسية، وقد انعكست تلك الخلافات على علاقة التنظيمات السياسية الفلسطينية بالاطار العام للحركة الوطنية الفلسطينية (منظمة التحرير). وفي حين اتخذت الصراعات على الجبهتين، الاسرائيلية والعربية، طابعا حادا شكل دافعا للالتحام الفلسطيني في مواجهة اسرائيل اولا، وفي مواجهة الانظمة العربية تبعا لطبيعة النظام العربي المختلف معه، اعتبرت الصراعات على الجبهة الفلسطينية نموذجا للديمقراطية الفلسطينية وشكلا من اشكال الحوار الداخلي، حتى حين كان يتخذ طابع العنف والالتجاء الى السلاح.

اثبتت منظمة التحرير الفلسطينية حضورها داخل اسرائيل كأمر واقع، حيث فشلت، حتى